ضرورة حضارية لخلق الحوار

التعايش في فكر السيد موسى الصدر

الوفاق/ خاص
عبير شمص

انشغل الإمام السيد موسى الصدر منذ بدايات مجيئه إلى لبنان بتعميق وتمتين الحياة المشتركة بين المجموعات اللبنانية المختلفة، وتنمية العلاقات المباشرة بين أفراد المجتمع اللبناني المتنوع ثقافياً ومذهبياً، وتنشيط اللقاءات والزيارات، في سبيل إنشاء أجواء تلاقي قادرة على استيعاب الأنظمة الطائفية التي تشكل مانعاً عن الالتقاء والتواصل في كثيرٍ من الأحيان.

كسر القوالب الذهنية القديمة

سعى السيد موسى الصدر من تحركه إلى تحرير المواطن اللبناني من الخوف والقوالب الذهنية النمطية المفروضة عليه والتي تُناقض التعددية الثقافية والدينية التي يتمتع ويتغنى بها لبنان، إذ يقول: "....ولبنان الذي يلتقي فيه أبناء الديانات ويعيشون إخوة مواطنين وتجتمع فيه ألوان من الثقافة والحضارة والتيارات الفكرية من الماضي والحاضر ومن الشرق والغرب يُعدّ ضرورة حضارية لخلق الحوار بين أعضاء الجسد الإنساني الكبير، ويُعدّ ضرورة دينية ترفع عن الأديان تهمة التعصّب وتقسيم البشرية وتجزئتها، وضرورة ثقافية يسهل عليه أن يكون لساناً وسمعاً للاستماع والمخاطبة بين الشرق والغرب وبين القارات. إنّ التفاعل بيننا يعالج كثيراً من مشاكلنا ومشاكلكم ويخدم الإنسان والسلام معاً".

توجهت رؤية الصدر إلى جميع مكونات المجتمع اللبناني متجاوزةً ربما كل الرؤى التي طُرحت من قبل مفكرين لبنانيين، وهذا ما يُفسر اهتمام نخب ومرجعيات مسيحية بالصدر ودعوته إلى مؤسساتها وأماكن عبادتها وبيوتها، ولقائه بالرؤساء الروحيين والشخصيات السياسية والفكرية ورحبت به باعتباره رائداً من رواد الحوار الديني.

الحوار الإسلامي المسيحي

ومن أبرز علامات التفاعل بين السيد موسى الصدر والمواقع المسيحية الدينية افتتاحه محاضرات الصوم الكبير في ٢٠ شباط من العام ١٩٧٥، في كاتدرائية مار لوسي للآباء الكبوشيين في بيروت بمحاضرة عنوانها "القوى التي تسحق والقوى التي تُفرق"، والتي أثارت الإعجاب والاهتمام حيث علق رئيس الجمهورية آنذاك شارل الحلو عنها بالقول: "يجتمع في الكنيسة مؤمنون لسماع كلمة الله من مرجعٍ ديني غير كاثوليكي، ويقابل ذلك لا بالإعجاب فحسب بل بالتأمّل الطويل"، وذلك حسب ما ورد في كتاب مسيرة الإمام السيد موسى الصدر.

نظر الصدر إلى العلاقات الإسلامية المسيحية من زاوية القيم الدينية والإنسانية المشتركة، فقد تضمنت خلاصاته للأديان بُعداً اجتهادياً تعزز نظرياً في التشديد على التعايش وتكريس لاهوت التسامح وتقبل الآخر والاندماج معه مع الابتعاد عن تناقضات الهويات الدينية الإلغائية، وكان من أوائل الذين ساهموا في إطلاق الحوار الإسلامي المسيحي، فكان مع رفاقه: المطران جورج خضر، الأب يواكيم مبارك، الشيخ صبحي الصالح، وحسن صعب وغيرهم أول من وقّعوا بياناً في ٨ تموز ١٩٦٥م، في إطار المحاضرات التي نظمتها "الندوة اللبنانية" عن المسيحية والإسلام في لبنان، حيث تم التأكيد على تلاقي الديانتين في إيمانهما بالله الواحد، وبقيامهم معاً على تعزيز قيم روحية ومبادئ خُلُقية مشتركة تصون كرامة الإنسان، وتُعلن حقه في الحياة الفضلى، وتنهض بالأرض وما عليها في محبة وسلام ووئام.

كان الصدر دائم الحرص على بناء الجسور وعبورها، بعكس كثير ممن يبنون جسوراً ليعبر عليها غيرهم، وهذا ما يُفسر تعلق أبناء الطوائف كافة بالإمام الصدر، وقد منعت هذه الجسور الإمام من كثير من الانزلاق وقع به غيره.

مواجهة المشاكل المشتركة سوياً

حرص الصدر على تبيان عمومية التحديات المواجهة للشعب اللبناني، وعلى أنها لا تخص المسلمين وحدهم، بل تواجه المسلمين والمسيحيين معاً، وأن المشاكل القائمة متشابهة ومن الطبيعي أن يكون هناك تعاون وتكامل بين المسلمين والمسيحيين لحلها، فمشاكل الفقر والتعليم والاستغلال والاستبداد السياسي والمرأة والعنف وغيرها من التحديات القاسية التي يجب على القيادات الروحية الإسلامية والمسيحية أن يتعاضدا ويعملا معاً لمواجهتها في سبيل تحقيق التوازن والعدالة والسلام في العالم.

ومن أجل هذا، يرفع السيد موسى الصدر من مستوى اهتمامه لقضية التعايش إلى مرتبة الرهانات الدينية والسياسية، بل الإنسانية العالمية، التي تتطلّب حماية وحضانة واسعة للوصول إلى حالة عالمية من السلام والاستقرار، فهو يخاطب الغرب قائلاً: "الغرب الحضارة لا الاستعمار، مدينٌ للبنان حتى اليوم، فالتعايش ثروة لهم أيضاً، وتصدعُه يُصدع التعايش في أفريقيا ثم في العالم كله". إذاً، التعايش قيمة عالمية مقدسة لها تأثيرٌ كبير على الأوضاع الدينية والاجتماعية في العالم، وعلى حركة الوعي والتقدم، بيد أن التحدي الأكبر يكمن في التجربة اللبنانية التي تلاقي متاعب كثيرة وتتحمل المزيد من الضربات المؤلمة، لذلك دعا الصدر اللبنانيين على الاتعاظ من تجربة الحرب والتطلع إلى المستقبل مع التمسك بالثوابت والأولويات التي لا يمكن أن تُمسّ، وعلى اللبنانيين عبر الحوار أن يختاروا صيغة تحفظ هذه الأولويات وهي:

١ – وحدة لبنان وهي ميزة وجوده، والرسالة اللبنانية هي في التعايش.
٢ – الحرية في لبنان ضرورة، لأنه فقط بالحرية يمكن بقاء مجموعات حضارية تتعايش في وطن واحد.
٣ – احترام حقوق المواطنين أي: العدالة التامة، العدالة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والعدالة في التنمية (الإنماء المتوازن).

ختاماً بالنسبة للصدر، يرتكز التعايش الإسلامي المسيحي على الدين بصفته جامعاً مشتركاً، فعند الإمام الصدر الإسلام كسائر الأديان الأخرى، يتمسك كأساس بكل تعاليمه، بالإيمان بالله الواحد، خالق الكون والبشر، ويشدد على أن أفضل طريقة لضمان رضى الله هي في خدمة الإنسان بصرف النظر عن انتمائه العرقي واعتقاده الديني، لأن الدين بالمفهوم الصحيح لا يعزل أبناءه عن الآخرين، إنّ تعاليم الدين تمنع بوضوح أي تفرقة بين عباد الله وخدمة الإنسان وتحرّم أذيته أو ما يمس كرامته.

لكن من يضمن أن لا تتحول الفوارق بين الألوان والمجموعات المختلفة إلى حدود حيث تنصّب الجدر فيما بينها، ويحل الصراع بدل التعاون والعداوة بدل المحبة، عن هذا السؤال يجيب السد موسى الصدر ويؤكد في كثير من المواضع والمناسبات عن الفرق بين الدين والتدين، بما هو التزام حقيقي بالتعاليم الدينية الصحيحة، يختلف تمام الاختلاف عن الطائفية التي يصفها بالسلبية، وهي تؤدي بشكلٍ أو بآخر إلى الانعزال عن المجتمع، بل إنها تقسمه إلى أجزاء صغيرة يمكن أن تنشأ بينها جدر متباعدة، وهذا مرفوض من قبل الدين الصحيح الذي يحتوي على تعاليم مفصلة بالنسبة للتصرف مع أبناء الطوائف الأخرى، وباختصار شديد، حرص الإمام الصدر أشد الحرص على تبيان الفرق بين الطائفية والتدين، هذا الإصرار على التشبث بالتعايش بين اللبنانيين والتأكيد على مسألة الحرية في لبنان كشرطٍ أساسي لبقاء صيغة التعايش.

> سعى السيد موسى الصدر في تحركه إلى تحرير المواطن اللبناني من الخوف والقوالب الذهنية النمطية المفروضة عليه والتي تُناقض التعددية الثقافية والدينية التي يتمتع ويتغنى بها لبنان

جاهد من أجل المحرومين والمستضعفين

إنّ الصدر هو رجلُ حوارٍ بامتياز، والحوار يبدأ بالإصغاء، وهذا ما ميزه عن غيره، فالسيد الصدر كان من كبار الأئمة المجددين الذين انخرطوا في العمل من أجل الإنسان وخيره، ومن أجل إعمار الأرض .. لذلك فقد جاهد من أجل المحرومين والمستضعفين ..

سيرة الشهداء

طوني أبي غانم.. حكاية عشق

الوفاق - خاص/ وُلد الشهيد طوني خليل أبي غانم في ١٩٦٥/٥/٩، في منطقة الشويفات، وعاش مع أشقائه الخمسة في كنف والديه، نشأ وترعرع في أوساط عائلة مسيحية. مع اندلاع الحرب الأهلية انتقلت عائلته إلى محلَّة حي السلم والتي اتسمت بالفقر والحرمان، وهناك ترعرع الشهيد، وتأثر برفاقه وجيران، تميّز الشهيد بذكائه في المراحل الدراسية، وكان ذا أخلاق عالية، طيِّب المعشر، يحب خدمة الناس، لديه روح مرحة وبشوش الوجه.

تعايشه مع المسلمين

انتسب الشهيد إلى كشافة الرسالة الاسلامية، مما جعله يتعايش مع المسلمين عموماً، والشيعة خصوصاً، وقد كانت تلك الفترة من أحرج الفترات التي مرّت بها لبنان، حيث الحروب الأهلية والتهديد الصهيوني وانهيار البنى التحتية للبلد، فقد شاهد اندفاع الشباب المؤمن وتفانيهم في العمل، فأحبهم واندمج معهم حتى أصبح واحداً منهم.

نقطة التحول

وهكذا أصبح طوني خليل يتردد معهم الى المسجد والحسينية القريبين من محل تواجدهم وأخذ يتعرف على الدين الإسلامي وخصوصيات المذاهب، وبالذات المذهب الجعفري، حتى اقتنع اقتناعاً كاملاً فأسلم وتشيّع، وسمى نفسه (حيدر) حباً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ورغم المضايقات والمصاعب التي واجهها من قبل ذويه، فقد ثبت وصمد. وقد كان دائم الحضور في المسجد لأداء صلاة الجماعة. ويُنقل شهود عيان أنهم طالما رأوه قبل صلاة الفجر في المسجد وهو يؤدي صلاة الليل، كما كان يحرص على الحضور في الحسينية في جميع المناسبات، وبالأخص مراسم عاشواء.

مشاركاته الجهادية

بدأ الشهيد عمله الجهادي عند بدء الاجتياح الصهيوني عام ١٩٨٢، فشارك في التصدي لمواجهة الاجتياح وكان في خضم المعارك العنيفة، كما تصدى مع المجاهدين لغزو الأطلسي لبيروت والضاحية، اعتُقِل عام ١٩٨٤م من قبل العدو الصهيوني في جنوب لبنان، وأُطلق سراحه بعد سنة ونصف من اعتقاله، وقد أمضاها في سجون فلسطين المحتلة، كما شارك في الكثير من العمليات الجهادية أظهر خلالها شجاعة وكفاءة عاليتين. كان آخرها مشاركته في عملية القنطرة البطولية ضد العدو الصهيوني، حيث قام مع مجموعة من المجاهدين بإعداد كمينٍ على طريق القنطرة – الطيبة ضد جنود العدو، ولدى وصول الدورية المؤلفة من خمسة عناصر؛ هاجمها المجاهدون، واشتبكوا معها مدة نصف ساعة، أسفرت المواجهات عن إصابة جميع عناصر الدورية بين قتيلٍ وجريح. وعند انسحاب الشهيد إلى منطقة وادي السلوقي، تعرّض لإصابة في رأسه جرّاء قيام العدو بتمشيط المنطقة، ما أدّى إلى استشهاده على الفور. وقد تعذّر على المجاهدين سحب جثمانه لكثافة النيران، فقام جنود العدو بأسره، وقد أُفرج عنه لاحقاً في عملية التبادل التي حصلت عام ١٩٩٦، ووري جثمانه الطاهر الثرى في روضة حي السلم بتاريخ ١٩٩٦/٧/٢٦.

كتب تاريخية

الهجرة العاملية إلى ايران في العصر الصفوي

الوفاق - خاص/ في هذا الكتاب دراسة للهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، وهو يدور حول مسألتين أساسيتين حملهما إسمه على الغلاف، الأولى هي الخصوصية الفكرية للمراكز العلمية التي كانت قائمة في "جبل عامل" والمناطق المجاورة له من " سهل البقاع". ويمكن أن نقول المشروع السياسي الذي أنجزته تلك المراكز العلمية، وتمثّله فقهاؤها، ثم حملوه معهم مهاجرين، والثانية هي الأرضية الإيرانية التي تفاعلت مع الأفكار أو المشروع الذي حمله معهم المهاجرون، بكل عناصرها الثقافيّة والسياسية والاجتماعية.

وبالعودة لمضمون الدراسة نجد أنها قد جاءت محتوية على أربعة أبواب، تناول الباب الأول الإطار التاريخي للفترة التي يتحرّك فيها البحث، وركز على السمات التي هيّأت لأحداثه وأدوار أبطاله، وتتبع خطّين تاريخيين التقيا عند الهجرة، هما: نمو وتصاعد الحركة الصفوية، الصوفية الشيعية، من طريقة صوفية إلى دولة، وحّدت "إيران" بعد طول تمزّق، وبدأت وضعها على طريق التشيّع الإمامي، والدّافع المحرّك للأحداث المتّجهة إلى إنهاء ما بقي من الدولة البيزنطيّة. وهو دافع يتصل بروح الغزاة الأوّلين الذين خرجوا لينشروا الإسلام، بحيث ظلّ فتح " القسطنطينية" حلماً تتوارثه الأجيال، وعندما تحقّق الحلم العتيد على يد الأمراء العثمانيين في " آسيا الصغرى" بدوا أمام العالم الإسلامي وكأنّهم يمثّلون كل مجيد وبرّاق في تاريخهم. هذا ما أهّلهم لوراثة منصب الخلافة العريق، مع كل ما يحيط به ويناسبه. أمّا الباب الثاني فحدد معالم النهضة الشيعيّة التي انطلقت في جبل عامل من خلال تتبع إطاراتها في التاريخ، ودراسة بطلها الشهيد الأول " محمد بن مكّي الجزيني"، واستخراج وجهها السياسي، كحركة تطلعت إلى لم شعث الشيعة في المنطقة، بعد أن شتتهم المماليك.

وتحدث الباب الثالث عن الوجه الشيعي لإيران، إذ حاول الكاتب الشيخ جعفر المهاجر رسم صورة "إيران" قبل دخول المهاجرين، إذ أن كل التفاعلات التي حصلت فيما بعد بين المهاجرين وبيئتهم الجديدة، إنما حدثت كتأثير لوجودهم كعاملين على نشر التشيّع كما عرفوه في بلادهم، ولن يمكن تصور حقيقة التغيير الذي تم على يدهم، ما لم نكن على دراية كافية بمسرح نشاطهم قبل أن يدخلوه.

أمّا الباب الرابع والأخير فخُصص للتعريف بالمهاجرين وأدوارهم، بدءاً بأولهم وأبعدهم أثراً، "علي عبد العالي الكركي"، وانتهاءً بأشهرهم "بهاء الدين العاملي"، كما ودرس هذا الباب الميادين التي كان للمهاجرين أثرٌ بارزٌ فيها والتي هي الترجمة والتأليف. إذاً يعرّفنا الكاتب هنا بالأبطال وأدوارهم، ويضيء على التفاعلات العميقة، بين الأرضيّة المحليّة، والأفكار التي حملها المهاجرون والمتأثّرون بهم في سياق تنفيذ تلك الأفكار.